AL-HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTER

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية
الرقم 3، العدد 3، أغسطس 2020
E-ISSN: 2637-0581

الفضاء المكاني في مقامات عبد الباري

إسماعيل إبراهيم إبراهيم*

الملخّص

ظهر فن المقامات العربية على يد بديع الزمان الهمذاني في القرن العاشر الميلادي، وازدهر على يد الذين جاؤوا بعده. وهكذا انتشرت هذه الممارسة الأدبية في معظم البلدان الإسلامية حتى الأندلس. وبما أن دخول الإسلام في نيجيريا كان في القرن التالي لظهور فن المقامات، فكان من البديهي أن ينكب أدباء نيجيريا على دراسة مقامات مثل مقامات الهمذاني والحريري حيث تُعتَبران من أنفَس الكتب في علوم اللغة والأدب، وذلك لأن اللغة العربية في الديار النيجيرية وفدت بالطابع الديني. فلا مندوحة إذًا لمن أراد تعلّم الإسلام من تعلّم بعض الشيء من اللغة العربية. ولأهمية المقامات العربية في تخزين اللغة العربية ومفرداتها، عُني علماء وأدباء الديار النيجيرية بدراستها دراسة معمقة سيما مقامات الحريري التي ذاع صيتها في غرب أفريقيا. وبما أن هذه الممارسة الأدبية ظهرت في ساحة الأدب العربي النيجيري في القرن العشرين الميلادي بمبادرات من كتاب وأدباء محليين، ترتكز هذه الورقة على دراسة إحدى المقامات النيجيرية حيث تركز على خمس من مقامات عبد الباري. ولأهمية النقد الأدبي في الأدب العربي النيجيري سيستخدم الباحث القراءة المتروية (Close Reading) في تحليل المقامات المختارة حيث ستتوصل الدراسة إلى أهمية الفضاءات الجغرافية في المقامة وكيف استطاع الكاتب أن يربط بين الأحداث والمكان فيها بالإضافة إلى التمثلات التي سربلها الكاتب. وعليه

* طالب ماجستير في برنامج الأدب المقارن بمعهد الدوحة للدراسات العليا، الدوحة، قطر. البريد الإلكتروني: ismailibrahim204@gmail.com

تهدف هذه الدراسة إلى النظر في أهمية الفضاء الجغرافي في هذه المقامات، وكيف استطاع الكاتب الربط بينه وبين مقاماته، وكذلك التمظهرات التي استطاع الكاتب أن يكسو مقاماته. وفي الختام، توصلت الدراسة إلى أنه من الممكن اعتبار عبد الباري ناجحا في محاكاة الحريري ولكن بأسلوبه الخاص؛ وأن الفضاء المكاني هو العجلة التي من خلالها تدور أحداث المقامات. ومن ثم توصي بضرورة ولوج الأدباء النيجيريين في الممارسات الأدبية التي تعكس القضايا الاجتماعية أكثر، وبتشجيع الكتابة الإبداعية من قبل الجهات المعنية، وكذلك عدم الانكباب المفرط على قرض الشعر إلى غير ذلك من توصيات الدراسة.

كلمات مفتاحية: المقامة – الفضاء – المكاني.

Abstract

The maqāmah genre came into being in the Arabic literary history with the invention of Badīʿ al-Zamān al-Hamadhānī in the tenth century and was improved thereafter with the literati that came after him. The genre spread over many Islamic cities till it reached Andalusia. Coincidentally, Islam came into Nigeria in the century that follows the invention of maqāmah, a situation that encouraged the Nigerian scholars to study works of maqāmah such as that of al-Hamadhānī and al-Harīrī since both are considered amongst the indispensable sources of Arabic language and literature. However, to learn about Islam one needs to have little knowledge of Arabic since the language came alongside Islam into Nigeria. The significance of maqāmāt in the preservation of Arabic language and vocabularies made the Nigerian scholars to extensively study al-Harīrī's maqāmāt. As such, this study concentrates on the critique of one of the Nigerian maqāmāt because the genre came into being in the Nigerian Arabic literary realm in the twentieth century. Therefore, this paper aims to study five maqāmāt of Abdul-Bari; examine the significance of geographical spaces in the maqāmāt and how the writer links them with the events of his maqāmāt; and explore

the functions which the maqāmāt are made to perform by the author. The study adopts 'Close Reading' as a method and asserts that Abdul-Bari's maqāmāt could be regarded as a successful mimesis of al-Harīrī's but with his unique style, and that geographical space is tool that controls the plot of the maqāmāt. Finally, the study concludes by suggesting that there should be more surge in the literary writings that deal with social issues; literary writings should be encouraged and its writers should concentrate more on novels rather than Arabic poetry.

Keywords: maqāmāt − space − geographical.

المقدمة

المقامات كممارسة أدبية مستقلة ظهرت في القرن العاشر الميلادي على يد بديع الزمان الهمذاني (969-1007) ثم تطورت على أيدي أولئك الذين جاؤوا بعده كأمثال ابن شرف القيرواني(999-1067)، وابن بطلان(1001-1038)، وابن ناقيا(1020-1092)، والحريري(1054-1122). فهولاء الخمسة "لا ينتمون إلى مجال جغرافي واحد"[1]؛ ومع ذلك يمكن تصنيفهم في دائرة واحدة في الكتابة الأدبية. فكذلك صاحب المقامات التي تحت الدراسة، فإنه لا ينتمي إلى مجال جغرافي فحسب بل لا يتزامن معهم أيضا في نفس القرنين الذين عاشوا فيها. وهذا هو بدايات ما يسمى بفن المقامات العربية. فقد انتشر واستمر بعد ذلك في الوجود حتى بداية القرن العشرين[2] كما ذكر عبد الفتاح كليطو. ولعلي لا أبالغ إذا قلت إن هذه الممارسة استمرت حتى القرن الواحد والعشرين إذا أخذنا تطور الأدب العربي في غرب أفريقيا عامة وفي نيجيريا على وجه الخصوص بعين الاعتبار. فمن ما سَجَّل لنا التاريخ أن ولوج اللغة العربية في غرب أفريقيا بما فيها نيجيريا كان عن طريق دخول الإسلام في هذه

---

[1] كليطو، عبدالفتاح، *المقامات: السرد والأنساق الثقافية*، ت.عبد الكبير الشرقاوي (الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر، 2001)، 7.

[2] المصدر نفسه 5.

المناطق[3]. ولذلك كان الهدف الأساسي من تعلم اللغة العربية هو خدمة الدين الإسلامي. ومن الجدير بالذكر أن جُلَّ الممارسات الأدبية العربية–إن لم يكن كلها– تنبثق في البداية تحت الطابع الديني. فالأبيات الشعرية إما أن تكون في التوسل كأشعار الشيخ محمد الأمين الكانمي، وإما أن تكون في مدح النبي، وإما أن تكون في مدح شيوخ الطرق الصوفية، وإما أن تكون لغرض تعليمي أو غير ذلك[4]. ومن ثم عُني علماء نيجيريا بتعلم وتعليم اللغة العربية وخاصة الكتب التي تُعد من خزائن اللغة ومفرداتها ومن ذلك مقامات الحريري.

تحتل دراسة مقامات الحريري مكانا مرموقا لدى العلماء النيجيريين لاسيما في جنوب البلد حتى إن القارئ لكتابات بعض الكُتّاب منهم ليرى آثار دراسة المقامات فيها. فمن أولئك الذين تأثروا بدراسة مقامات الحريري حتى انعكست في كتاباتهم عثمان بن فودي، وعبدالله بن فودي، ومحمد الأمين الكانمي، وآدم عبد الله الألوري، وزكريا حسين، وعبد الرزاق ديريمي أبوبكر وغيرهم[5].

لم يكتف علماء نيجيريا بدراسة المقامات العربية فحسب بل عبروا تلك الحدود إلى محاولة محاكاة أدبائها القدامى في كتابة مقامات تتناسب مع بيئتهم المحلية. ظهرت المقامة العربية الأولى إلى حيز الوجود على يد مسعود عبد الغني في مقامة واحدة أسماها بالمقامة الأويووية فرغ من كتابتها قبل 2004 ؛ تليها المقامات الألورية على يد محمد الأول عبدالسلام والتي تشتمل على خمسين مقامة في سنة 2011م. ومن بعد ذلك ألف ابن يوسف المشهور بريق الأصفياء أحمد يوسف أجيغنلى مقاماته المسماة بمقامات بن

---

[3] غلادنتشي، شيخو.، *حركة اللغة العربية في نيجيريا* (مصر: دار المعارف، 1998) ، 59.

[4] آدم عبد الله الألوري، *مصباح الدراسات الأدبية في نيجيريا*، (بدون ناشر، 1968)، 113-115.

[5] عز الدين أديتنجي، *اتجاهات في المقامة العربية النيجيرية: مقامات الألوري نموذجا*،(الهند:مجلة العاصمة، قسم اللغة العربية، كلية الجامعة)، 229.

يوسف والتي تشتمل على ثلاثين مقامة 2012[6]. وأخيرا، ألف عبد الباري أديتنجي كتابه المسمى بكسوة العاري في مقامات عبد الباري في عام 2018م. ونستطيع القول بأن هذه المبادرات لها دواعيها الثقافية والتاريخية حيث أن هذه الممارسة الأدبية مستوردة من العالم العربي إلى الديار النيجيرية في عهد غير بعيد، فبالتالي تُعَدّ المقامات من الفنون الجديدة التي لم يكن أدباء نيجيريا يدلون بدلائهم فيها بالمقارنة بقرض الشعر. إذا، فلأجل إبراز الثقافة النيجيرية في صبغة المقامات، حاول هؤلاء الأدباء محاكاة الهمذاني أو الحريري في كتابة المقامات فألفوا-كما سبق- مقامات تتناسب مع بيئتهم المحلية. ولكن من خلال إمعان النظر في نشأة المقامات العربية في نيجيريا، يُلاحَظ أن هذه المبادرات أتت من أدباء يورباويين من جنوب نيجيريا. ولعل من المثير أن نتسائل لماذا لا توجد لدي أدباء شمال نيجيريا الذين لهم قصب السبق في التعرف على الإسلام والثقافة العربية مبادرات في هذا الإبداع؟ قد يكون من الصعب الحصول على إجابة صريحة على هذا التساؤل.

مشكلة البحث وأهدافه وأسئلته

بما أن مقامات عبدالباري من أحدث المقامات العربية في نيجيريا إذ تم نشرها في عام 2018م، فقد قلت فيها الدراسات النقدية ولذلك تسعى هذه الورقة إلى دراسة الفضاء المكاني في مجموعة مختارة من المقامات لملئ هذه الثغرة العلمية. ومن ثم تهدف هذه الدراسة إلى دراسة الفضاء المكاني وأهميته في أربعة من مقامات عبد الباري لما للمكان من أهمية بالغة في العمل الأدبي. إضافة إلى ذلك سيتم النظر إلى كيف نجح الكاتب في ربط الحوادث بالأمكنة، وكذلك الأخيلة التي استخدمها الكاتب في تقعيد المحلية النيجيرية. ومن ثم ستهتم الدراسة بالنظر إلى الأبعاد التي تشير إلى إمكانية اعتبار

---

[6] عز الدين أديتنجي، *اتجاهات في المقامة العربية النيجيرية: مقامات الألوري نموذجا*،(الهند:مجلة العاصمة، قسم اللغة العربية، كلية الجامعة)، 229.

المقامات العربية النيجيرية كذاكرة أدبية ومخزون لغوي وغيرهما. إذا فمن البديهي أن تطرح هذه الدراسة التساؤلات الآتية:

بم تتميز المقامات العربية النيجيرية وما هي الأبعاد التي يمكن اكتشافها من خلالها؟

هل يمكن عَد المقامات العربية النيجيرية محاكاة لكل من مقامات الهمذاني والحريري؟

ما هي أهمية دراسة الفضاء المكاني أو الجغرافي في نقد العمل الأدبي وما هي الأبعاد التي يمكن تشكلها من خلال دراستنا لمقامات عبد الباري؟

ماهية الفضاء المكاني في الأدب

إن حياة الإنسان ونموه في هذا العالم يرتبط ببعدين أساسيين هما: البعد الزمني والمكاني. وإن دارسة المكان بمعزل عن الإنسان هي دارسة لا روح فيها ولا حياة؛ فالحياة البشرية بكل أنواعها وضروبها تدور في الأمكنة والزمان، والأمكنة هي البشر. إذن فالإنسان هو المكان والزمان، إذ أن البيت الخالي من الناس يكون خربا. ولعل من الجدير هنا أن نتساءل أيهما أقدم الزمان أو المكان؟ لقد أثبت التاريخ بأن المكان أقدم من الزمان إذ أن السابق هو الوعاء الذي يحتضن كل احتياجات الإنسان اليومية. وأما الزمان فهو الساعات والأيام التي يحسب بها الناس أعمارهم وتواريخهم. فالأول يمكن إدراكه بالحواس لأنه يشتمل على الأشياء الحسية وأما الثاني فيتعذر إدراكه بطريقة مباشرة. أما الفضاء فهو أكبر شمولية وأعظم مساحة من الزمان والمكان. يقول ميشيل في مقالته عن أهمية الفضاء[7]:

"...الفضاء جسد الزمن وهو بمثابة الشكل الذي يعطينا البداهة عن الأشياء التي لا نحس بها بطريقة مباشرة ولكنها تنبثق تحت ما يمكن فهمه. الزمان روح الفضاء، وهو اللامرئي الذي يعطي الحيوية لتجاربنا".[8]

---

[7] هذه ترجمتي الخاصة للنص الإنجليزي

[8] Mitchell, W. J. T. "*Spatial Form in Literature: Toward a General Theory*, (*Critical Inquiry* 6, no. 3, 1980), 545. Accessed April 11, 2020. www.jstor.org/stable/1343108.

ومن هنا قسم أبو هيف الفضاء باعتبار الوظائف التي يؤديه إلى **الفضاء النصي** الذي هو الحيز الذي تشغله الكتابة باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق. أما الثاني فهو **الفضاء الدلالي** أي ما له الصور المجازية وما لها من أبعاد دلالية حسب جينت الناقد الفرنسي (1930-2018)[9]. و**الفضاء الجغرافي** هو الذي له ارتباط وعلاقة وطيدة بالموقع الجغرافي وهو الذي تُعنى به هذه الدراسة. فيمكن القول إن الفضاء يحتمل البعدين الزماني والمكاني معا أو الزمكاني وإن كان مصطلح المكان والمكانية والزمكانية قد تطور بتأثير علم السرد ولا سيما إنجازات غريماس إلى مصطلح الفضاء في الانفتاح أو الحيز في التحديد والتضييق والاتساع والشمولية وتداعيها النصية[10]. إذا فالفضاء في العمل الإبداعي أيا كان نوعه "هو الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء ملتبسة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب"[11]. فالفضاء المكاني يمكن الاعتبار بأنه الساحة التي فيها تتمظهر الأحداث في العمل الإبداعي، وهو أيضا العمود الفقري لربط أجزاء العمل الأدبي بعضه ببعض. علاوة على ذلك، الفضاء المكاني جزء من مكونات العمل الأدبي إذ لا يخلو أي عمل أدبي منه سواء كان رواية أو قصة أو شعرا أو غير ذلك. وهو ما يستند ويتكئ عليه المبدع في عملية الإعراب عن خواطره وعواطفه المتعددة حيث يضفي على النص جماليات بالغة التأثر بما يحتضن من معان ودلالات وألفاظ سلسة.

أهمية الأمكنة في مقامات عبد الباري

لعب الفضاء المكاني دورا مهما في مقامات عبد الباري. فكما تصدّر أغلب المقامات السابقة عليها بعناوين أمكنة عامة كالمقامة الصنعانية، والحلوانية، والمعرية، والإسكندرية،

---

[9] أبو هيف عبد الله ، *جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر*،(سوريا: مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27(1)،2005، 128.

[10] المصدر نفسه، 127.

[11] المصدر نفسه، 125.

والدمشقية، والغوطية، والبغدادية، وغيرها في مقامات الحريري، فكذلك عَنْونَ عبد الباري مقاماته بأسماء الأمكنة كالإبادنية، والصكوتوية، والجوسية...إلخ. وتشتمل كسوة العاري على ثلاثين مقامة ويمكن أن تُعد الأمكنة في مقامات عبد الباري اللبنة والأداة السردية التي من خلالها تتشكل الشخوص وتتفاعل مع الأحداث. وبما أن المكان بشكل عام رمز للوجود وعلامة على الكينونة. فقد استدعت الأمكنة التي استخدمها عبد الباري في مقاماته وكشفت أبعادا كثيرة في تمثيل وتصوير ممارسة المقامة في أصباغ مختلفة. فالتجولات والأسفار من بلد ومن مكان إلى آخر، كما هو شأن رواة المقامات، أبرزت أشكالا كثيرة من الأشكال التي تنبثق في ظل المقامة.

عسكت تنقلات وأسفار الراوي على إمكانية اعتبار المقامة الحصانية من ضمن مقامات عبد الباري على اكتشاف اللغوي الذي يحفظ أسماء أصوات الناس بأشكالها المتنوعة. عنوَنَ الكاتب هذه المقامة بالحصانية لوصية والد الراوي بممارسة ركوب الحصان في كل سفر يريده[12]. فسفره إلى مدينة إجيشى[13] أتاح له فرصة اللقاء مع أبي خالد الإبادني، بطل الرواية، في قصر الملك حيث تجمع البلغاء والفصحاء. وهذا يحيلنا إلى شيء مهم في قضية الفضاء المكاني وهو أن في المقامات ما يمكن تسميته بالمكان العام أو الرئيسي والمكان الخاص. فمدينة إجيشى هو المكان العام والقصر يمثل المكان الخاص في هذه المقامة ملاحظة نقدية هامة فيم يخص الفضاء الخاص والفضاء العام!. إذا، رحلة الراوي إلى هذه المدينة أسفرت عن تقديم المقامة كمخزن لمعرفة أسماء أصوات الناس في شخصية أبي خالد الإبادني حيث أنشد في أبيات منها:

---

[12] أديتنجي عبد الباري ، *كسوة العاري في مقامات عبد الباري*، (إبادن: دار البيدخ للطباعة والوسائط،2018)، .101

[13] مدينة في ولاية أوسن بنيجيريا

قهقهة صهصهة دعدعه## بخبخة زهزهة فلتعه[14]

فالدور الذي تلعبه المقامة هنا يكمن في المكان الذي أحالنا إليه الكاتب حينما احتضن هذا المكان الحدث الذي أبرز سمة كون هذه المقامة الحصانية ذاكرة لغوية. ومن الجدير بالملاحظة أن هذه السمة ليست في هذه المقامة فحسب وإنما ورد العديد من هذه الأشكال في مواضعَ عدة في مقامات عبد الباري. ولعل المقامة التي أسماها الكاتب بالعجوزية من الأمثلة المناسبة في هذا المقام. فقد جاء فيها رحلة الراوي إلى أرض أفريقيا وقدومه على أناس وهم باكون. سألهم عن سبب بكائهم، فكان جوابهم موت عجوز لهم. وهذا الذي فتح باب مناظرة مثيرة في هذه المقامة. أثارت المناظرة تساؤلات عن معاني كلمة "عجوز" في اللغة العربية. قام أحد الحاضرين وذكر ستة وعشرين معنى ثم استسلم معلّلا على أنه لا يعرف غير المعاني التي ذكر. وهنا يقدم الكاتب شخصية بطل المقامة الذي ظهر بلقب الشيخ فقام وأخذ ينشد في أبيات شعرية تتضمن تسعة وأربعين معنى لكلمة "عجوز"[15]. وهنا يمكن القول بأن الكاتب وظّف هذا المكان (أرض أفريقيا) في عملية فنية تصنع فضاء لغويا و شاعريا في نفس الوقت بما يضفي على نص المقامة جماليات ترتبط بأحداثها. فالبحث في أهمية وعلاقة المكان والأحداث في العمل الأدبي يتيح لنا بحثا ذا نتيجة دقيقة كما نصَّت بذلك الناقدة الإيطالية أورسيني[16]. ولا أبالغ إذا ارتأيت أن عبدالباري حاول من خلال هذه المقامة محاكاة الحريري ولكن في فضاء يتناسب مع بيئته النيجيرية في هوية مزدوجة بين العروبة والعجمية (النيجيرية).

---

[14] أديتنجي عبد الباري ، *كسوة العاري في مقامات عبد الباري*، (إبادن: دار البيدخ للطباعة والوسائط،2018)، 103.

[15] المصدر نفسه، 29-43.

[16] Orsini, F. *The Multilingual Local in World Literature*, (Comparative ***Literature***, 2015; 67 (4): 351. Accessed April 13, 2020 from https://doi.org/10.1215/00104124-3327481.

حوارنا عن أهمية المكان في هذه المقامات والدور الذي يلعبه يسوقنا إلى بعد آخر وهو تقديم المقامة كذاكرة أدبية. ويتجلى ذلك في مناسبات عديدة في مقامات عبد الباري نذكر منها على سبيل المثال المقامة الحكمية. فقد جاء فيها قول الراوي: "... بينما أطوف في مدينة جوس بعد مغادرة بلدة لاغوس، إذ صادفتُ مدرسة واسعة[17]". فالسفر والترحال–كما سبقت الإشارة إلى ذلك– من سمات الراوي. ومن ثم يحيلان إلى فضاءات مكانية تكمن فيها تمظهُرات ممارسة المقامة في أصباغ عديدة. مكان هذه المقامة (أي المقامة الجوسية) تضمن ذاكرة أدبية حيث تَذَكّر بقصيدة بانت سعاد المشهورة والتي جاءت فيها البيت التالي:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا## وما مواعيدها إلا الأباطيل[18]

يحكي أحد التلاميذ في هذه المقامة عن محاولته–بعد قراءة مقدمة ديوان– للعثور على أبيات شعرية يكون آخر البيت الأول أول البيت الثاني وهكذا حتى آخر القصيدة ثم يكون الحرف الأخير في كل من الصدر والعجز حرفا واحدا. باءت المحاولة بفشل بعد أن وعد صاحب الديوان قُرَّاءه بالإتيان بنوع تلك الأبيات. فجاء وصف صاحب الديوان بأن "وعده وعد عرقوب"[19]. فالمكان هنا يحمل في فضائه الرحب إبداعات عبد الباري في رؤيته الأدبية التي تكشف لنا ذاكرة أدبية لبيت من قصائد العصر الإسلامي.

يروي لنا الراوي رواية أخرى في المقامة العروضية أنه جاءه جاره الكريم والوفي الذي بينه وبينه مودة وعلاقة متينة وأخبره بظهور أديب ولغوي بمدينة إبادن وجدير بهما زيارته. ثم

---

[17] أديتنجي عبد الباري ، *كسوة العاري في مقامات عبد الباري*، (إبادن: دار البيدخ للطباعة والوسائط،2018)، 54.

[18] شمس الدين، إبراهيم، *قصص العرب: موسوعة قصص ونوادر العرب*، (القاهرة: دار الكتب العلمية، 2013)، 332.

[19] أديتنجي عبد الباري ، *كسوة العاري في مقامات عبد الباري*، (إبادن: دار البيدخ للطباعة والوسائط،2018)، 56.

يبدأ بعد ذلك الرحلة إلى مكان يلوح فيه بُعد آخر من المقامة؛ يبدأ السفر كما هو المألوف في شخصية الراوي المجاهد بن الهادي. فيقول : "... وجهّزنا الخيل ورحلنا حتى وصلنا، وبواد قرب سوقها نزلنا، وإذا مُناد ينادي إلى ناد، قائلا فليأت إلى النادي من كان إلى الأدب ظمآن...[20]" وقبل أن نأتي إلى التمثيل الذي حاول الكاتب هنا من خلال هذا المكان، ينبغي الإشارة إلى وسيلة النقل التي استعملها المؤلف في هذه المقامة. فعند إمعان النظر في قوله: "وجهزنا الخيل ورحلنا" يمكن أن نتسائل لماذا استخدم الكاتب "الخيل" كوسيلة للنقل ولم يستخدم وسائل النقل الحديثة كالسيارة والحافلة وغيرهما؟ هل السبب في هذا هو المحاكاة لمقامات الحريري والهمذاني أو غيرهما؟ ولماذا لجأ الكاتب إلى معايشة القرون الغابرة في ممارسته النصية ولم يباشر قرنه الواحد والعشرين الذي كتب فيه المقامة؟ لعلنا نعود إلى الحوار عن أهمية المكان في هذه المقامة. وصل الراوي وجارُه إلى ذلك البليغ الأديب في مدينة إبادن ووجدوه قائما بين الناس يلقي الدرس في علم العروض. وهنا ندرك مناسبة تسمية الكاتب هذه المقامة بالعروضية. ذكر الأديب الأبيات الشعرية التي نظمها صفي الدين الحلي لضبط أبحر الشعر. ثم عقب ذلك بما يمكن تسميته بنوع من التجديد والإبداع حيث قال قصيدة –نظمها هو بنفسه– تجمع أبحر الشعر. نذكر منها على سبيل المثال:

كل البسيط سيطوى ينقضي الأمل ## مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلُ

من كان يغلب نفسه هو كامل ## متفاعلن متفاعلن متفاعلن[21]

فذكْر النادي الذي هو مكان التجمع لإلقاء الدرس في علم العروض يكشف لنا بعدا مهما في تمثل المقامة كذاكرة عروضية، إن صح التعبير. ومن هنا نستطيع أن نستنتج كيف استطاع الكاتب إبداع هذا الحدث وربطه بالمكان المناسب حتى يُلهم القارئ بأن

---

[20] المصدر نفسه، 90.

[21] أديتنجي عبد الباري ، *كسوة العاري في مقامات عبد الباري*، (إبادن: دار البيدخ للطباعة والوسائط،2018)، 97.

هذه الأحداث لا يمكن وقوعها بدون هذه الأمكنة. وهذا الذي يبرز لنا بكل وضوح أن هذه الفضاءات المكانية هي التي جعلت الراوي المجاهد بن الهادي، والبطل أبو خالد الإبادني يتمثلان بصور عديدة ترتبط بحالات نفسية وإحساسية خاصة لتتناسب مع طبيعة المكان. فتارة يظهر البطل كالأديب الذي يتكلم بكل فصاحة ويراعة؛ وتارة يتقمص شكل الواعظ الناسك؛ وفي حين آخر يتمظهر تمظهر المتفنن في العلوم اللغوية كعلم العروض والبلاغة وغيرها. فالمكان–كما رأينا– هو الذي يدير عجلة الأحداث. فلا مندوحة من أن تمكن عبد الباري من خلال مقاماته صنعَ مكان مناسب مع الأحداث والأحداث التي تتناسب مع المكان.

الخلاصة والخاتمة

بدأ بديع الزمان الهمذاني فن المقامة في الأدب العربي في القرن العاشر الميلادي وازدهر بعد ذلك على يد الأدباء بعد حتى القرن العشرين. وبسب إقبال علماء نيجيريا على اللغة العربية تعلما وتعليما منذ ظهور الإسلام فيها، انكب كثير منهم على تعليم وتعلم مقامات الحريري مما أسفر عن ظهور مقامات عربية نيجيريا. كان عبد الباري من أبرز أولئك الأدباء النيجيرين الذين ألفوا في هذا الفن الأدبي.

وإذ تركز هذه الدراسة على النظر في أهمية الفضاء المكاني في مقامات عبد الباري ونهجه في ربط العلاقة بين المكان والأحداث، تكشفت الدراسة أيضا عن الأبعاد التي استخدمها الكاتب في تقديم المقامة. ومن ثم تم تسليط الضوء على ماهية الفضاء المكاني وأنواعه والوظيفة التي يؤديها في العمل الأدبي أيا كان جنسه. عقب ذلك تطبيق دراسة المكان في أربعة من مقامات عبد الباري وهي الحصانية، والعجوزية، والحكمية، والعروضية. تجلى من خلال دراسة أهمية المكان في هذه المقامات أن الكاتب يمكن القول بأنه نجح في استخدام الأمكنة كفضاء لتقديم المقامة كمخزن لغوي في المقامة العجوزية حيث ذكر بطل المقامة معاني مختلفة لكلمة "عجوز"؛ وكذاكرة أدبية في المقامة الجوسية لما أحال النص إلى بيت من قصيدة "بانت سُعاد"؛ ثم قدم الكاتب المقامة كوعاء

لعض أبواب علم العروض في المقامة العروضية كل ذلك من خلال تجوال الراوي وأسفاره من مكان إلى آخر. وهذا كله يشير إلى أن لدراسة المكان حضورا بالغا وتأثيرا واضحا في البناء والتعبير والتصوير.

أهم النتائج والتوصيات

- يمكن القول بأن عبد الباري نجح في محاكاة الحريري في هذه الممارسة الأدبية وذلك في نمط يتناسب مع بيئته التي يعيش فيها.
- الفضاء المكاني يمكن اعتباره العجلة التي تدير الأحداث حيث يُلهمنا الكاتب بأن هذه الأحداث لا يمكن وقوعها بدون هذه الأمكنة.
- ضرورية فتح آفاق جديدة في الممارسة الأدبية تعكس معالجة مشاكل المجتمع لاسيما في جنوب نيجيريا.
- تشجيع الكتابة الإبداعية من قبل المؤسسات المعنية كالجامعات الوطنية ووزات التعليم في الدولة.
- الإعراض عن الانكباب المفرط على قرض الشعر من قبل معظم الأدباء النيجيريين والعناية بكتابة الروايات والقصص القصيرة.
- تنظيم مسابقات في الكتابة الإبداعية بالعربية في نيجيريا الأمر الذي يسعى لتعزيز روح كتابة الروايات والقصص ذات الطابع النيجيري

المصادر والمراجع

أبو هيف عبد الله ، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر،سوريا: مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 27(1)،2005.

آدم عبدالله الألورى، مصباح الدراسات الأدبية في نيجيريا، بدون ناشر، 1968.

أديتنجي عبد الباري ،كسوة العاري في مقامات عبد الباري، دار البيدخ للطباعة والوسائط: إبادن،2018.

شمس الدين، إبراهيم، قصص العرب: موسوعة قصص ونوادر العرب، القاهرة: دار الكتب العلمية، 2013.

عز الدين أديتنجي، اتجاهات في المقامة العربية النيجيرية: مقامات الألوري نموذجا،الهند:مجلة العاصمة، قسم اللغة العربية، كلية الجامعة،2016.

غلادنتشي، شيخو.، حركة اللغة العربية في نيجيريا،مصر: دار المعارف، 1998.

كليطو، عبدالفتاح، المقامات: السرد والأنساق الثقافية، ت.عبد الكبير الشرقاوي، الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر، 2001.

المراجع الأجنبية

Mitchell, W. J. T., "Spatial Form in Literature: Toward a General Theory, Critical Inquiry 6, no. 3, 1980. Accessed April 11, 2020, www.jstor.org/stable/1343108.